

مجامر الحنين

د. دنيا فياض طعان

إهداء

إلى من حَجَبَ حُبُّهُمَا طويلاً قصائدي

أبي

ومرات شبابهِ تسري إلى اليوم في دمي

وأخي الأكبر

وغربته تنخر عظامي بصقيع المنافي في عقر داري.

دنيا

أما أمي

فلم يبق عندي ما أهديتها. لقد طال انتظارها لدرة الهدايا، لجمع الشمل على أرض العهد والوعد.  
فأشاحت عن فراشات الصّباح وغادرتني مع سنونوات الرّحيل المباح. فأحرقت بالدمع محاجري  
وأورثتني صقيع اللّحد وشوق الأبد.

قارئ العزير

من زوايا الذاكرة، من رماد المشاعر وجداء الحنين، اخترتُ لك بعضاً من قصائدي التي سلمت  
من سيول الإهمال وتراكم السنين، وتعاليت فوق عذيف الردى الذي خلفه جنون حرب ضيّعت  
ملاحنا في دياجير العربة والتشريد.

لقد نجت خواطري من آفة النسيان وبشاعات الحروب، وإن شأبها بعض شحوب وندوب. سلّمتُ  
لأنّها نسغُ الحياة في العروق، وانعكاسات الروح على مرآة الشعور، وصدى الخفقات البكر لقلبي  
المقرور الذي كبّته أصفاد الشرق الظلوم. هي المباح الذي توارى خلف غلالات الخوف الأثيم،  
الذي رماني في وهدة الريب، ومعازل الممنوع، حتى أشرفتُ على مهاوي اليأس والقنوط. لكني  
تمسّكت بإيماني الوطيد ورحت أبحث عن الخيار السديد.

فأودعت أحلام طفولتي التجاويف الصخور

وأسلمت بوحى لشهقة الموال، ومغاني الطيور

وواريتُ نرفَ مشاعري خلف مواسم الزهور

موقعةً خفقَ جوارجي على ترانيم الدهور.

التحفّتُ بخضوع الموالى وصمتِ القبور

فغدوت أسيرة المباح أرثي حقي المهدور

أجرّ أذيال خيبيتي وأكتم صرخة الكيان الجسور

أللم شظايا مرأتي وأحضن بقايا أمسي الطهور

أقدم ولاء الجواري لأحيا في موكب الرغد والعطور.

أغرس المنى في حقول العلم فأنال الرضا وتطمئن صدور

وأمنح البرّ جهداً يُزهر عُمرًا بالعطاء يمورُ

فِيمَا أَعَانِي وَرَزَّ ذَنْبَ غَيْبٍ عَنِ سَمَائِي ضِيَاءَ الْبَدُورِ:

لَأَنْنِي ارْتَضَيْتُ إِرْثًا أَغْلَالَ أُمِّي وَالْقَيْودَ

وَقَبِلْتُ مَهْرًا سَلَسِلَ الْإِبْرِيذِ وَجَوَاهِرَ الْعُقُودِ.

دُنْيَا فَيَاضُ

بَيْرُوتَ ١٩٩٣

### انعكاسات الروح على مرآة الشعور

بَيْرُوتَ فِي مَوَاسِمِ التَّحْنَانِ

إِلَامَ تُعَشِّشِينَ فِي تَلَاوِينِ ذَاكِرَتِي

تَجُوبِينَ بِمَجَامِرِكِ أَفَقَ حَيَاتِي

يَسْكُنُ هَوَاكِ جَوَارِحِي وَمُهْجَتِي

يَمْلَأُ صَدَاكِ رِحَابَ أَيَّامِي وَغُرْبَتِي

أَغَارُ عَلَيْكَ يَا مَدِينَتِي

مِنْ كُلِّ أَرْضٍ تُؤَاوِينِي

مِنْ كُلِّ جَمَالٍ يُوقِظُ حَنِينِي

أَغَارُ حَتَّى مِنْ تَسْرُوكِ

فِي أَدَقِّ شَرَايِينِي

حُبُّكَ، بَيْرُوتُ لَهُ فِي قَلْبِي

أَعْمَقُ الْمَعَارِي وَالْمَعَانِي

وَاعْتِرَابِي إِنْ هُوَ إِلَّا

رَجْعُ قِصَائِدٍ وَمَغَانِي.

أَنْتَ لِي مَهْمًا بَاعَدَ بَيْنَنَا

طُولُ الزَّمَانِ

أَنَا مِنْكَ بَضْعَةٌ تَتَجَلَّى

فِي مَوَاسِمِ التَّحَنُّانِ

أَتَحَسَّسُ شَذَاكَ فِي

كُلِّ لَحْظَةٍ وَأَوَانِ

يَا مَوْئِلَ الْمَاضِي السَّعِيدِ

وَسِرَابِ الْعَدِ الْهَانِي

حُبُّكَ، بَيْرُوتُ سَرَقَ مِنْ

عُمْرِي أَعْلَى الثُّوَانِي

وَالنَّصْلُ فِي جُرْحِكَ أَزَّاحَ

عَنِّي سِتْرَ الْأَمَانِ

فَأَحَالَ الْحَيَاةَ فِي فَمِي

رماداً، وَعَذَاباً يُؤرِّقَانِي،  
ضبابِكِ يَا شَهِيدَةَ الْوَرَى  
أُضِلَّنِي عَنْ أَقْرَبِ الْمَوَانِي  
فَعَدَوْتُ بَحَاراً تَائِهَاً  
يُبْحَثُ عَنْ دُرَّةِ الْأَوْطَانِ .  
لندن ١٩٨٥

### ليالي الغربة الداجية

كبرت ...  
لَيْتَهَا مَا فَعَلْتُ أَمِيرَةَ الرَّقِهِ  
كبرت ...  
فَأَنْتَحَرْتُ الْبِرَاءَهُ  
وَمَأَنْتُ لُعْبَةَ الْأَرْقِهِ  
غَابَ فَرَحُ الْعِيدِ  
وَرَفَّةُ الدَّهْشَةِ  
تَجَادَبَتِ الْأَقْدَارُ صَبِيَّةَ الدِّفْلَى  
لَوَّثَتِ الْأَوْحَالَ قَدَمِي الطِّفْلَةَ

كَبِرْتُ ...

وَالصَّدى يُرَدُّ بِالْمِ وَوَجَلٍ وَحَرْقُهُ :

أَيَّتْهَا الرَّاحِلَةُ فِي زَمَنِ الْقَهْرِ

وَالْتِكَادِ وَالزَّنْدَقِ.

يَحْفَ بِكَ الطَّهْرِ

وَبِيَدِكَ تِيكَ الزَّنْبِقِ

لَا تَظَنِّي أَنَّكَ كَأَسْرَابِ السَّنُونُو الْمَهَاجِرِ

إِلَى فِضَاءِ بِلَادِكَ

وَجَنَاتِهَا يَوْمًا عَائِدِهِ

لَهْفِي عَلَيْكَ يَا لَوْلُؤُهُ

لَفَظَتْهَا الْمَحَارَةُ الْجَائِرَهُ.

مَحَالِ إِيَابِكَ إِلَى رَجْمِ الْمَجْهُولِ

وَبِدَايَةِ الدَّائِرَةِ

قَدْرُكَ أَنْ تَرَسْفِي أَبْدًا

فِي أَغْلَالِ الشَّقْوِ الدَّامِيَةِ

تَسَامِينِ سَعِيرِ الذِّكْرِيَّاتِ اللَّاهِبَةِ

وَتَلَاشِي الْأَحْلَامِ الْمُتَدَاعِيَةِ

يضويك الفراق

ولياي الغربة الداجيه

يوجعك الانتظار

والنسيان

وخناجر الجحود الغادر

المغرب / ١٩٨٧

أنصار في القلب

غادرتك يا أنصار

وفي أجوائك تسري

بضعة من فؤادي

نشرت على رباك

أجمل نكرياتي

نقشت على صخورك

رؤوم طفولتي،

مع جداولك

سيزت بواكير أخلامي .

أَتَى لِي أَنْ أُنْسَى

يَا حُلُوتِي

شَذَى النرجس

ذَهَبَ السَّنَابِلِ

وَرَجَعُ الْحِكَايَاتِ وَاللَّيَالِي

الْمُقَمَّرَاتِ مِلءُ الْحَنَائِي ..

إِنْ تَكُنْ مَاتَتِ الْأَمَانِي

وَقَمَرُ نَيْسَانَ اخْتَجَبَ

فَالذِّكْرِيَّاتُ مَا زَالَتْ

فِي الْجَوْفِ لِأَهْبَهُ

وَالرِّيَّاحِينَ بِعَبِيرِهَا

فِي الْعُرُوقِ نَابِضَهُ

وَالْوَجْدُ إِلَيْكَ يَشُدُّنِي

بِأَغْلَالِ الشُّوقِ الْمُتَجَبَّرِهِ.

أَنْصَارُ يَا أَثِيرَهُ

أَنْصَارُ يَا بَرِيئَهُ

دَنْسَتِكَ الْأَحْقَادِ



سقاك الأشرار

السم الزعاف

أَدْخُلُوكِ التَّارِيخَ عَنُوةً

مِنْ سَرَادِيبِ الظَّلَامِ

نَحْرُوكِ يَا أَرْضَنَا الزَّهْرَاءَ ....

جَعَلُوكِ وَكْرًا لِلطَّغْيَانِ

أَقَامُوكِ جِسْرًا لِلْعَذَابِ

وَمُعْتَقَلًا لِلأحرارِ .

أَدْمَوْا قَدَمَيْكِ

بِأَشْوَاكِ النِّكَرَانِ

نَكَلُوا بِكِ

كَرَّسُوكِ رَمْزًا لِلهَوَانِ

لِكَيْتِكَ يَا أَنْصَارِ

يَا أَمْنَا الصَّابِرِ

مَا زِلْتِ طَاهِرِ

لَأَنَّكِ قَاوَمْتِ الطَّعَاهِ

شَرَّعْتِ صَدْرَكَ لِلْحَقِّ .

أَعْطَيْتِ الْعَهْدَ لِلْأَبْرَارِ

أَرْسَلْتِ دَمْعاً

تَكْوَرْتِ حُزْناً

تَوَارَيْتِ حَجَلاً.

أَخْفَيْتِ جَبِينِكَ

عَنْ وَصْمَةِ الْعَارِ

أَغْضَيْتِ كَيْ لَا

تَشْهَدِي الزُّورَ

فِي مُؤَامَرَةِ الدُّهُورِ.

\* \* \*

ساحل العاج / ١٩٨٤

عرس الأقبان

فِي زَوَايَا الدَّارِ تَرْنُو إِلَيَّ

بِاقَاتِ الخِزَامِي وَالْأَقْبَانِ

تَقْتَحِمُ عَلَيَّ وَحَدَّتِي

فَتَنْدُكُ أَسْوَارَ الزَّمَانِ

تُعِيدُنِي بِرَهْوِهَا إِلَى عَهْدِ

الأحلامِ وَدِفءِ الأمانِ

تَنْشَقُّ عَن أريجِ بَرِّي

يُذَكِّرُنِي بِالْحُبِّ الَّذِي كَانَ

فَأَتِيهِ بَيْنَ العِطْرِ وَالتَّوَارِ

مُسْتَرْجَعَةً بَقايا الحنانِ؛

أهيمُ عَبرَ المَاضِي يُضَوِينِي

الفِراقُ وَيُغْرِقُنِي فِي لُجَّةِ الأَحزانِ .

وَحِيدَةً أَطْرُقُ بابَ الكونِ

أفتقدُ الأَحِبَّةَ وَأَسْتَمَطِرُ السُّلوانِ

أهجرُ دُنْيائِي مُوَعَلَةً فِي مَواهِمِ

الرَّحِيلِ هَرَباً مِنْ كُفْرِ الإنسانِ

لأنَّ الرِّبِيعَ فِي كُلِّ عامِ

يُنْذِرُنِي بِقُدومِ نَيْسانِ

وَذَكَرِي صَحائِياهُ المُكَلَّلَةَ

بِالشَّقِيقِ وَالتَّيْلَسانِ؛

يُرَهقُنِي فِيهِ الأَسى

والتُّكُلُ وَشُحُوبُ الأَلْوَانِ .

تُرَى مَنْ يَكْثِفُ الضَّرَّ عَنِّي

فِي مَوْعِدِ النَّرْجِسِ وَالرَّيْحَانِ؟

مَنْ يَحْمِلُنِي إِلَى عَمِيقِ

الأَغْوَارِ وَشَاسِعِ الشَّطَّانِ

لأَغْوَصَ بَحْثًا عَنْ سَلَامِ

أَعْلَى مِنَ الدُّرِّ وَالْجُمَانِ

أزفَ بشراه

لأحِبِّ الأوطانِ

فَبَيْرًا مِنْ جِرَاحِ قَانِيَاتِ

أَتَقَلَّتِ الحَمَائِلَ وَالْأَكْفَانَ؟!!

الدار البيضاء ١٩٨٨

**مياسم النوى**

وَطَنِي لِمَ تُحَاصِرُنِي فِيكَ

عَوَادِي الدَّهْرِ وَأَصْدَاءُ السِّنِينِ

لِتُلْهَبَ مَشَاعِرِي وَتَغْشَى ذَاكِرَتِي

مِيَا سِمُ النَّوَى وَسِيَا طُ الْحَنِينُ

\*\*\*

يَفِيضُ دَمْعِي وَيَطُولُ سُهْدِي  
كُلَّمَا هَزَّنِي الشَّوْقُ وَشَجُّوا الْأَنِينُ  
أَدُوبُ فِي هَوَاكَ وَالْوَجْدُ يَشُدُّنِي  
وَحَرْقَةُ الْجَوَى أَبَدًا لَا تَسْتَكِينُ  
أَعُودُ إِلَيْكَ بِعُيُونِ أُمْسِي  
فَيَطَّالِعُنِي سَوَادُ النَّكْلِ الْحَزِينُ  
أُرْحَلُ وَفِي ذَهَابِي وَإِيَابِي  
أَنَاجِيكَ وَقَلْبِي بِحَبِّكَ ضَنِينُ  
بيروت/١٩٨٩

لبنان

لبنان يا حزني الدفين

يا وطني الجريح

يا من تناثرت أشلاء

في مهب الريح

ألى صليل السّناىك  
ودامىات السّىوف تسترىح  
ألن تملّ نجىب التّكالى  
على شعبك الذّبىح  
ألن ىرحمّك التارىخ ىومًا  
وىجعلك المجازر لا تُبىح؟

متى ... قل لى متى  
تلتئم الجراح القانىات  
وعلى جثث الجناة  
ىُقام الصّرىح؟  
أتهتدى وىحقّ لنا العذر  
والعفو أن نستمىح  
فلا ىشوب طهرك أثر  
لشانىّ أو مجرم قبىح؟  
ساحل العاج ١٩٨٥  
الى ابنتى الوحىدة

يا من حُبُّك

في القلب

يرتاح ويضطجع

أعن إهدائك

أختًا تظنين

الحنان يمتع؟

ألا تدرين أن الأمل

برغد العيش

فيك يجتمع؟

وأن خاطري بطيفك

يا وجه السعد

دومًا يلتفع

وكياني لم يعد

يا حلوتي لسواك

يرقّ ويتسع

مذ غدوت سبيّة

ليلٍ انت فيه بدرٌ

يشع ويلتمع؟

ساغينو - الولايات المتحدة

١٩٩٠

## صقيع اللحد

بوجودك يا أمّاه كانت الحياة رضيّه  
تكرّ الأيام ومن صفاتها تحبوني لحظات هنيّه  
بحنانك كنت ألوذ فأنتقي عذابات الدهر العصيّه  
رحلت بلا وداع فضاعت مني أفراح الصبيّه  
تركنتي مكلومة لليتم أشكو جراحات المنّيّه  
فتحرقني بلهيب الجمر دموع الفراق العتيّه  
ثم يصفعني صقيع اللحد وصمّت الأبدّيّه

بيروت 1993

## بلى قالت لي أمّي

بلى قالت لي أمّي إنّي حبيبتها

وإنّي نور العين وسرّ ابتسامتها



وَحَبَابُ الْقَلْبِ وَالرُّوحُ مِنْ مَهْجَتِهَا  
وَأَنِّي صَوَعَةُ الطَّيِّبِ وَالذَّفَاءِ لُقْبَاتِهَا  
لَكِنَّهَا لَمْ تَقُلْ إِنِّي لَنْ أُوَدِّعَهَا

بيروت 1993

### صدى الخفقات البكر لقلبي المقهور

مجامر الحنين

شهق النرجس

ناح الفلّ

ومات الياسمين

حزناً على تاعسة

شدّها نغم الماندولين

فقضت لوعة بلا

ضجيج ولا أنين

تطوي الحنايا على حب

اغتيال وهو جنين

تغضي الرموش على

ماض تصطبب فيه

أمواج الحنين

وأنواء الشوق الدفين

آه على زنبقة

بيعت بثمن بخس مهين

حَقَّروها علِّموها

طاعة الرجل

ولزوم إِنْجاب البنين

فذابت خجلاً

وسرت رجعاً

لصدى السنين

توارت هرباً

من لعنة وراثتها

عن الغابرين

بعدهما رددتها

دهوراً

فلول الجاهلين

تلك قصة فتاة

أحياها ثم قتلها

الود المبين

لصب دنف

يا طول ما كان

بهواها ضنين

فصارت أسطورة

تحكى عن مناجاة

الروح للروح

عبر مجامر الحنين

**نقاط وفواصل**

عدتَ إلى الديار

عدتَ إلى الأصول

هفوت إلى الماضي

وفي مقلتيك عتاب يطول

عدت والشوق يدفعك

تحقق إليّ بذهول

وقد شحبت ألواني

واكتسيْتُ حلّةَ الذهول

تري أتوافقًا جنئت

تحرق المراجل

ظنًا منك بأن النوى

لا بد زائل

وتجديد عهد الهوى

لا محالة حاصل؟

فإذا بدنياك لحن شجي

أبكى حساسين الخمائل

وقصة حبك صمت مميت

من نقاط وفواصل...

لن أعود

قلت لي لا ترحلي يا دنياي

فالإيغال في المجهول يحمل لك المآسي

ستعودين والجرح في الأعماق دامي

أجبتك والأسى في الصدر نامي

خل عنك يا صاح فقد وقعت صكّ مماتي

قد أخطئُ الدرب لكني سأديم ابتعادي

سوف أرحل ولن أدع الفشل يمر ببابي

لن أعود... قلتها بلا ندم فختمت بها حياتي

ثم تراءت لي أسباب الردة ودوافع الإياب

لكنني بالصبر وطول الأناة داويت بأسائي

داريت همي في عزلتي ومسحت دمة إخفاقي

وجعلت وأد الذكريات وحلو الأمان مآلي

قد أعبد العمر

قد أرشف الحب رشفا

أو أجعل القلب نسيا

قد أعبّر العمر قفزا

أو أتخذ البين دربا

لكني دوماً أطمئن إليك نفسا

بك الرؤى تحققت

كم من حلم بدد الواقع جماله

فخبا وهجه وزال سرابه

كم من أمل تجسد قسوة

تلاشت من قبحها أفراحه

وامحت مع الغسق ألوانه

فاذا المقل من النوى

بلون الشفق

والظلام بسجفه

يجب الأفق

فجأة بك الرؤى تحققت

وعاود البشر روحاً

من اليأس أحبطت

فانتالت عليّ

أنوار محياك

وازدانت ليالي

بضياء صفاك  
فسرى الحنين دفنًا  
والحياة في أزهرت  
ربيعًا وأريجًا  
به الحنايا تضوّعت

### إنتظار

أنتظر الظروف  
والشهور لأكبر  
أنتظر معجزة  
وربما أطلب أكثر  
لعل براكين الحب  
بصدري تتفجر  
وفي عيني مواسم  
الزرجس تتجبر  
وأصابعي بدفء  
المدخنة تتدثر

ومسامعي بنغم

الميجانا تتأثر

فأصير امرأة

من كتبها تتحرر

تذوب رغبة

تخجل وتتكور

وتلهث خلف الحنان

جوعًا وتتضور

**خبز الفقراء**

من جراحات أمس

من ظلال الماضي

ومن خوفي الدفين

ما زلت أنكر بؤسي

يوم رميت كراسي

يشدني الوجد والحنين

لأسأله بدقات قلبي



وارتعاشات لهفتي

هل كان لحبي أمين؟

أمسك براحتي

داعب جدiltي وقال:

أعن الحب تسألين؟

وعن أبعاد شوقي؟

ومدى إخلاصي

دوماً تتحرين؟

دعك من الوهم يا حلوتي

وتعالى نعب المتعة

في كؤوس المتخمين

أدني مني ولا تخافي

أنت معي وصدري

واحة المتعبين

فبكيت سراب وجدي

وفررت منه يرعيني

قول العابئين:

دعك من الوهم

يا صغيرتي دعك

فمن هراء تبحثين

الحب خبز الفقراء

خمر التعساء

وزاد المعدمين...

بيروت